تراجع الإنجاب في السعودية: خلل الأدوار لا عمل المرأة

تشير الدراسات الحديثة إلى تراجع ملحوظ في معدلات الإنجاب في السعودية، وهو تراجع لا يمكن عزله عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية المتسارعة التي شهدها المجتمع خلال العقود الأخيرة. ومع تداول فرضية أن عمل المرأة يمثل سببًا رئيسيًا لهذا التراجع، يصبح من الضروري التوقف عند السؤال الأعمق: هل المشكلة في عمل المرأة ذاته، أم في غياب التوازن الأسري الذي رافق هذا التحول؟

شهدت السعودية خلال العقود الأربعة الماضية تحوّلا ديموغرافيًا لافتًا، تمثل في انخفاض معدل الإنجاب من سبعة أطفال للأسرة الواحدة في ثمانينيات القرن الماضي إلى نحو طفلين فقط في الوقت الراهن. هذا التحول، الذي تشير إليه دراسات حديثة منها دراسة لجامعة الأميرة نورة، لا يعكس تغيرًا في القيم بقدر ما يكشف عن اختلال متزايد في بنية الأسرة ونمط الحياة المعاصر.

لا خلاف على أن عمل المرأة يُعد مكسبًا تنمويًا واقتصاديًا، وأسهم في رفع مستوى الدخل وتعزيز مشاركة الكفاءات الوطنية في سوق العمل. غير أن هذا التحول لم تُصاحبه إعادة صياغة واضحة للأدوار داخل الأسرة، ما أدى إلى تراكم أعباء إضافية على المرأة دون تخفيف موازٍ أو توزيع عادل للمسؤوليات.

فالمرأة السعودية اليوم تعمل خارج المنزل، وتبقى في كثير من الحالات المسؤولة الأولى عن شؤون البيت والتربية، بينما لم يتطور الدور الأسري للرجل بالوتيرة نفسها. هذا الخلل في توزيع الأدوار حوّل الحياة الأسرية إلى تجربة مرهقة، وجعل قرار الإنجاب قرارًا عالي التكلفة نفسيًا ومهنيًا.

تراجع الرغبة في الإنجاب لا يعني رفضًا للأبوة أو الأمومة، بل هو تعبير عن واقع ضاغط يشمل ارتفاع تكاليف المعيشة، وضغوط العمل، وغياب سياسات داعمة للأسرة، إضافة إلى محدودية الخدمات المساندة للأمهات العاملات. وفي ظل هذه الظروف، يصبح تقليل عدد الأبناء خيارًا عقلانيًا للحفاظ على الاستقرار الأسري.

الاستمرار في هذا المسار يحمل تحديات مستقبلية، أبرزها تسارع وتيرة الشيخوخة السكانية، وتراجع حجم القوة العاملة، وزيادة الضغط على أنظمة التقاعد والرعاية الصحية، إلى جانب تغير أنماط الاستهلاك

والسكن والتعليم. وهي تحديات لا تقتصر آثارها على الأسرة، بل تمتد إلى الاقتصاد والمجتمع ككل.

إن معالجة تراجع معدلات الإنجاب لا تكون بإقصاء المرأة من سوق العمل أو تحميلها مسؤولية التغير الديموغرافي، بل عبر تبني سياسات أكثر دعمًا للأسرة، وإعادة تعريف مفهوم المسؤولية المشتركة داخل البيت، وتعزيز دور الرجل كشريك فعلي في الاستقرار الأسري، لا كمشارك ثانوي.

فالأسرة المتوازنة هي القاعدة لأي تنمية مستدامة، وأي خلل في بنائها سينعكس حتمًا على مستقبل المجتمع. وتراجع الإنجاب في السعودية ليس إلا إشارة مبكرة تستدعي قراءة أعمق وحلولًا أكثر شمولًا.